بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف فقال له سعد اقاسمك مالي واهلي فقال عبد
الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك انما اريد ان تدلني على السوق فحصل بوجهه لذلك وراح بشيء
من سمن واقط فلو كان التكسب في الاسواق ينافي التوكل لم يختر عبد الرحمن وهو
امام الائمة ما ينافي توكله ولكنه احب ادخال المشقة على نفسه وكره ان تنعم بما ان
عباد الله ليسوا بالمتنعمين كما قال فضالة بن عبيد وقد راى اشعث اغبر حافيا
وهو امير مصر فقيل له انت هكذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن
الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا لم اختار عبد الرحمن ايضا ايثار اخيه مما اراد به
رعاية لحق اخوته ولان الله تعالى قد ندب الى الايثار ووصف به الانصار واعلى
من عبد الرحمن مقاما امام الائمة ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة
اخذ الاثواب تحت حضنه ودخل السوق ينادي ومن الذي احواله جبر اهل الخلافة
واقيم مقام النبوة حتى اجتمع المسلمون وفرضوا له ما لا يكفيه فقال لا تشغلوني عن
عيالي فاني اذا ضيعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين
لا كثير ولا شطط فلما رضوا جميعا بذلك وانفقوا عليه ترك السوق لشغله بامور المسلمين
لا انه كيف اتى الفقراء لحاله وما اوجب الله تعالى عليه لاهله وتواضع لله تعالى
في حال رفعته واسقط الخلق عن عينه حتى لم ير الصحابة ذلك منه بحكم كان وكذلك
المتوكل للابدال مع الحكم الاول حتى يبيح الله له طريقا فيسلكه بحكم ثان
وقد كان بعض السلف يجتمع اليه الناس للكلام عليه فكان يقول لو اعلم ان
اهلي يحتاجون الى باقة بقل ما تكلمت عليكم فمع هذا بيان وبرهان لمن له
بصيرة لا هوى في انكار التكسب على اهل التوكل احتجاجا لنفسه واعتذارا
من بطالته ولا يسع العلماء في الدين الا البيان وكشف حقيقة العلم والبرهان
بان التكسب والاكتساب طرق اودعها الله تعالى العطاء والارزاق لا هي
تعطي وترزق حتى لتنال واسطة من الاستخدام فالمتوكل المتسبب موقن ان
الله سبحانه هو المعطي والمانع انه هو المسبب الرازق وانه هو الاول في التسبب
والآخر في التقليب فقلبه ناظر الى القدرة وتجسد سكونه الى القسم وقلبه
فارغ راض بالمقسوم وجسمه فتح له في المعلوم الذي وجد فيه وسبب له وهو عارف
بعلامه والمراد منه راض بجنايته وما قد استعمله فيه والزواية والزي يتبع
المتوكل ويخرجه من حد التوكل اكتساب الشبهات للاستكثار والتعشي ب
بالتكسب للجمع والافتخار والحرص على طلب ما حل العلم عليه انه الطلب لما
يكره المثال منه والسخط للاقدار والمداهنة على ما قدر او ترك النصح لعامله
بان يخاف عليه او يريد والتشوف الى الخلق والطمع في سبب هذا كله لا يصح معه
التوكل وقد قال بعض العلماء العبد اذا دخل السوق للتكسب وكان ممن يعلمه

احب اليه

احب اليه من ان يعلم غيره لم ينصح المسلمين في المبايعة وهذا غير يخرجه من التوكل و
دخول الآفات ومساكنتها لقصور علم او غلبة هوى يخرج العبد من التوكل وهو ان
يكون متوكلا على الناس بان يطمع فيهم ويتصنع لهم بالتعرض والتصنع او يكون م
متوكلا على صحة جسمه ودوام عوافيه وانه لا يرزق الا من كد يده او يكون متوكلا
على ماله بان يثق به ويطمئن اليه ويحتسب انه ان افتقر انقطع رزقه وعلامة
ذلك طمأنينته به واعداده له عدة لكذا وعدة لكذا فما نعم الله تعالى من جميع ما ذكر وعدد
هذه المعاني تخرج من التوكل وقد تخفى دقائقها وتدق خفاياها الا على حذاق العلماء
الراسخين في العلم المتضلعين باليقين الغائبين على الدوام بالشهادة التاركين
عن ما لوث التحسس والعادة ثم ترجع الى هذه المعاني من الاسباب والاشغال وسكن
اليه سكون انس فيقوى قلبه بوجوده فاذا فقده ضعف او يستوحش او يضعف
قلبه لفقد ما يجيء على علة في توكله روينا عن بشر بن الحارث رحمه الله قال ان العبد
ليقول اياك نعبد واياك نستعين فيقول الله تعالى كذبت ما اياي تعبد ولا بي تس
تستعين لو كنت تعبدني لم تؤثر هواك على رضاي ولو كنت تستعين بي لم تسكن
الى حولك وقوتك ولا الى مالك والتاجر للتكسب والتصرف في الاسواق اذا كان في احدى
كفايتين واعني بالضبط والقناعة في قليل ما يناله هذا افضل وانما حاله من المتكسب اذا
خاف ان لا يناله المعيشة لا بمعصية الله فدخوله في شبهة قبيلة او خيانة او حيلة
انه من المسلمين ولانه قد تعذر العلم بتسامح العلم مع مباشرة الاسباب وكثرة دخول
الآفات والفساد في الاكتساب ثم ملابسة اهل الاسواق ومخالطتهم على هذا
الوصف المذكور واقرب الى السلامة لبعده من رؤية الاسباب ومفارقة ما تسمنا لكان الحكم
متعلق بالرؤية وقيل الحرام فقيل المتخير انما المرء يسقط عنه حكمه وليس الجسم كالمعاينة بينة
ولا المجاورة كالمباشرة ولا المعاين كالمخبر وذلك لتنقل من قال عن حقيقة التكسبة على
العبد لانه متوجه الى السبب وطلابه جارية ولو زاغ عنها القلة مع المعاينة
لها لكان طالبا والتكسب ليس بعوض وقد يعترض بالاجر مغنيين بوجود العيال
مع عدم كفايتهم من وجه من الوجوه او بان ينقطع عرقه عن بدنه ويضعف عنه
مع ما تقدم به العرض مما لا بد منه وقد كان بشر بن الحارث ترك التكسب وكان لا
يتكلم في الحلال ويتشدد فيه فقيل له يا ابا نصر وانت من اين تاكل فقال من حيث
تاكلون ولكن ليس من ياكل وهو يبكي مثل من ياكل وهو يضحك وقال ولكن يد
اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة وكان سبب تركه للصنعة ان البعلوي كان يبلغه
انه استعنت على رزقه بالمغازل الى ان ابنا اخبرا اله سمعه ويوجه الرزق على من
يوثق به في قلبه لشكر ما منه واخرج تلك المغازل ويقول بل نزله الحال لو عرفت
الاسم وقصر الاجل ولا لبقيت الاجله بالبيع ها من كان قد ابيح له به الى الله